

الفصل الثاني

دور الفقهاء السياسي في وسط الأندلس
- حالة قرطبة قبيل دولة بني جهور

١. الدور السياسي للفقهاء أبو الحزم جهور بن جهور وبنيه في قرطبة

٢. بنو جهور والمواقف السياسية لبعض الفقهاء .

أ. القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن هرثمة بن ذكوان

ب. الفقيه يحيى بن محمد بن يبقى بن زرب .

ج. الفقيه حسن بن محمد بن ذكوان .

د. الفقيه محمد بن عتاب بن محسن .

هـ. الفقيه أبو الحسن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعروف بابن السقاء .

و. الفقيه أبو مرزبان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي .

دور الفقهاء السياسي ← والحضاري في الأندلس

حالة قرطبة قبيل قيام دولة بنى جهور :

عانت قرطبة فى أوائل القرن الخامس الهجرى من الصراعات السياسية كالمشاحنات بين القرطبيين والبربر، وبين بنى أمية وبنى عامروبنى حمود، ودارت الحروب والصراعات التى كان من أبرزها ماعرف بالفتنة البربرية التى نتج عنها تخريب قرطبة واضطراب أحوالها، وفساد أخلاق العامة بها وهجرة أهلها منها بعد أن فقدت الأمن والطمأنينة، وإعراض الكثير من الفقهاء عن تولى منصب القضاء مثل الفقيه " أبى عبدالله محمد بن عتاب " الذى دعى إلى قضاء طليطلة والمرية فاستعفاهما ^(١)، والفقيه "أبوالمطرف عبدالرحمن بن مروان القنازعى" الذى دعى إلى تولى منصب الشورى بقرطبة فأبى ^(٢)، وكذلك الفقيه " محمد بن عبدالله بن سعيد " الذى رفض قبول منصب الشورى أيضاً ^(٣)، ومنهم من لزم بيته مثل الفقيه " أبى محمد بن حزم الظاهرى " (ت.٤٥٦هـ-١٠٦٤م)، ومنهم من هجر قرطبة مثل الفقيه " محمد بن معافى بن صميل " (ت. ٤١٠هـ-١٠١٩م) ^(٤)، والفقيه " أبو عبدالله بن الحذاء " (ت. ٤١٦هـ-١٠٢٤م) ^(٥) والفقيه " محمد بن عمر بن يوسف بن الفخار " (ت. ٤١٩هـ-١٠٢٧م) ^(٦)، والفقيه " أحمد بن محمد بن عفيف " (ت. ٤٢٠هـ-١٠٢٨م) ^(٧)، والفقيه " محمد بن عبدالرحمن بن معمر " (ت. ٤٢٣هـ-١٠٣١م) ^(٨)، والفقيه " محمد بن مغيرة بن عبدالله الإشبيلي "

(١) أبو عبدالله محمد بن عتاب قرطبي قيل عنه أنه شيخ المفتين، روى عن القنازعى وابن وافد و الحداد وأبو عمر الطلمنكى والقاضى يونس بن مغيث وأبى محمد مكى بن أبى طالب، سمع منه إناه والفقيه ابن سهل وكذلك ابن حمدين وأبو جعفر بن رزق. أنظر القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٨١٠، ٨١١.

(٢) أبو المطرف عبدالرحمن بن مروان القنازعى قرطبي فقيه ومحدث شروطى له رحلة إلى المشرق سمع فيها من بعض أصحاب البغوى، روى عنه أبو عمر بن عبدالبر، وله كتاب فى الشروط على مذهب مالك. أنظر الحميدى: جذوة المقتبس، ق ٢، ص ٤٤١؛ الضبى: بغية الملئس، ج ٢، ص ٤٨٢؛ القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٧٢٦-٧٢٨؛ ابن فرحون: الديباج، ج ١، ص ٢٨٥.

(٣) ابن فرحون: الديباج، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج ٢، ص ٤٧٦.

(٥) نفسه، ص ٤٤١.

(٦) نفسه، ص ٤٨٣.

(٧) نفسه، ص ٤٢؛ القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج ٣، ص ٧٣٥.

(٨) ابن بشكوال: نفسه، ج ١، ص ٣١٤.

(ت. ٤٢٥هـ-١٠٣٣م) (٩)، والفقهاء " محمد بن يوسف بن محمد الأموي " (ت. ٤٢٩هـ-١٠٣٧م) (١٠) ومن أشهر الفقهاء الذين هجروا قرطبة الفقيه " حماد بن عمار الزهد " (٤٣٢هـ-١٠٤٠م) الذي استوطن طليطلة بعد تركه لقرطبة ورفضه لمنصب القضاء فيها (١١)، وكذلك الفقيه " أبو الوليد هشام بن غالب الغافقي " (ت. ٤٣٨هـ-١٠٤٦م) الذي ترك قرطبة واستقر في غرناطة ثم رحل إلى إشبيلية فاستقر بها حتى وفاته (١٢) وكذلك الفقيه " أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي " الذي تنقل بين مدن الأندلس (١٣).

ومن هؤلاء الفقهاء من تعرض للإيذاء مثل القاضي " عبد الرحمن بن بشر " الذي تولى القضاء في عهد " علي بن حمود " و " القاسم بن حمود "، فلما تولى الحكم " هشام المعتد " عزّله عن منصبه لولائه لبني حمود (١٤).

وقد كثرت في قرطبة السرقات والسلب والنهب والتهو والعبث وشرب الخمر وخاف الناس على أنفسهم من الحرب فاستفتوا فقهاء المالكية في التعجيل بصلاة العشاء (١٥)، وأصبحوا يصلون الجمع وصلوات الأعياد في منازلهم خوفاً عليها، واجتمع رأي القرطبيين على إختيار جماعة تدير شئون قرطبة عرفت باسم حكومة الجماعة، وهي حكومة تتألف من صفة شيوخ ووزراء المدينة اتفق أهل قرطبة على إختيارهم وكان على

(٩) نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٨٩؛ القاضي عياض: نفسه، ج ٤، ص ٧٥٩.

(١٠) ابن بشكوال: نفسه، ص ٤٩٣.

(١١) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٧٣٠.

(١٢) ابن بشكوال: الصلة، ج ٢، ص ٦١٦.

(١٣) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٨٠٨. ولمزيد من التفاصيل عن هؤلاء القضاة أنظر محمد عبد الوهاب خلاص: تاريخ القضاء في الأندلس

(١٤) عبد الرحمن بن أحمد بن بشر قاضي بقرطبة يكنى أبا المطرف، فقيه عالم وأديب، أرسل له ابن حزم قصيدته الشهيرة التي يفخر فيها بنفسه ويعدد محاسنه، اختاره القاضي ابن ذكوان في أيام الفتنة وفي عصر بني حمود، وكان شديداً على الفقهاء لتقويم ميلهم، وقد أوشوا به عند الخليفة المعتد فعزلته عن منصبه ولكن الخليفة حضر جنازته حين توفي سنة ٤٢٤هـ. أنظر القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج ٤، ص ٧٣٦.

(١٥) أحمد محمد سعيد: الحياة الأدبية في قرطبة في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، سنة ١٩٧١م، ص ٥.

رأس هذه الحكومة " أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور " (١٦) عميد الجماعة وكبير قرطبة وكان هدف هذه الجماعة المؤقتة تسيير شؤون المدينة حتى يتم الإتفاق على إعادة رسم الخلافة الأموية .

ووقع إختيار الجماعة على " هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبدالرحمن الناصر " الذي كان مقيماً في حصن (ألبونت) (١٧) ، فبايعه أهل قرطبة بالخلافة في ربيع الآخر سنة ٤١٨ هـ يونية ١٠٢٧م وتلقب بالـ " المعتد بالله " أو المعتمد (١٨) .

وقد دخل الخليفة " المعتد بالله " قرطبة يوم ٨ من ذى الحجة سنة ٤٢٠ هـ ١٨ ديسمبر ١٠٢٩م (١٩) وفى اليوم التالي جددت له البيعة بالخلافة فى قصر الخلافة وفى مجلس حضره عليه القوم ، وعين " حكم بن سعيد " فى منصب الوزير الأول ، وكان هذا الرجل نساجاً قديماً ، كما كان صديقاً للمعتد منذ الصبا ورفيق عودته إلى قرطبة ، كما عين الشاعر " أحمد بن عبدالله بن شهيد " وزيراً وكاتباً ، وتلد كل من " فائز بن المغيرة " و عبدالرحمن بن محمد بن محمد الحناط " الوزرة " (٢٠) وعين " أبو محمد على بن حزم "

(١٦) أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبده منهم حسان بن مالك وزير عبد الرحمن الداخل ، ويذكر أنهم كانوا من موالى بنى أمية ، وعملوا منذ زمن طويل فى الوزارة والكتابة والحجابة والقيادة ، وقد عمل جهور بن محمد بن جهور كوزير للدولة العامرية ، ثم بايع هشام المعتد إبان الفتنة ثم إستقل بالأمر حتى مات . أنظر : الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٦٠ ، ٦١ ؛ ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ١٨٠ وما بعدها ؛ ابن الأبار : الحلة ، ج ٢ ، ص ٣٠ - ٣٢ ؛ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٥٦ ، ٥٧ ؛ عبدالواحد المراكشى : المعجب ، ص ١١١ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٤٨ ، ١٤٩ .

Dozy : Histoire Des Muslemans , Tov III , P. 5 .

(١٧) حصن ألبونت Alpuent يقع شمال غربى بلنسية ، وصفه الحميرى بأنه قرية من أعمال بلنسية ، ووصفه ابن سعيد بأنه معقل من المعقل الرفيعة . ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٣٩٥ ؛ الحميرى : الرض المعطار ، ص ١١٥ ، المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٤٢ ؛ كمال أبو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية ، ص ٥٣ .

(١٨) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٢٧ ؛ سحر عبد العزيز سالم : نصوص تاريخية إسلامية ، نص ٨ ص ٢ وما بعدها عن وزراء بيت بنو أبى عبده ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط سنة ٢٠٠٥م ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ١٥ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٤٥ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٦٢ .

(١٩) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ٥١٦ ، ٥١٧ .

(٢٠) نفس المصدر ، ص ٥١٤ ، ٥١٨ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ .

وزيراً^(٢١)، وولي الشاعر" محمد بن سليمان بن الحناط الرعيني الأعمى " ديوان الإنشاء^(٢٢)، كما ولي " أبو عمر أحمد بن موسى " خطة الإفتاء بقرطبة كما ولي الفقيه " أبو بكر محمد بن أحمد بن ذكوان " خطة المظالم .

وكان تعيين الخليفة " المعتد بالله " لـ " حكم بن سعيد " في منصب الوزير الأول وتقييم الدولة سبباً في توتر العلاقات بينه وبين رجال قرطبة ، فقد كان شيوخ قرطبة يأملون أن يرد لهم " المعتد بالله " الجميل ويقلدهم أرفع المناصب في دولته لكنه بدلاً من ذلك قلد هذه المناصب لرجال من صنائعه ، وقد علق ابن حيان على سياسة " حكم بن سعيد " نحو شيوخ قرطبة بقوله : " فبدر لأول وقته بعداوة الأمراء وتنقص الفضلاء والميل على أول البيوتات بالأذى والمطالبات وصير صنائعه في أضدادهم من التوابع والحاكه فكانوا وزراءً وأنصاره فنالوا معه المنازل النبيلة وأكلوا الطعوم الرقيقة ، أكثرهم صبية أعمار عيارين من نمطه ممن دينه حث الكاس وتنضيد الأس وطبخ الترفاس والتفكه بأعراض الناس " ^(٢٣) . وإذا أضفنا إلى ذلك إقدام الخليفة " المعتد بالله " على نكبة أصحاب البيوتات العربية الكبيرة حيث صادر أموال أحد أبناء القاضي " أبو العباس بن ذكوان " وقبحه فاضطر إلى الفرار من قرطبة^(٢٤) ، كما توسل " المعتد بالله " بكافة الحيل والطرق المتتوية لكي يضع يده على أموال الأحماس . وقد أثار هذا العمل إستياء أهل قرطبة منه " فاعترت الأمة شدة مرت بها أيام على بن حمود جذعة ، فساءت أحوالهم لشدة السياسة المدمومة والويرة المسخوطة " ^(٢٥) .

(٢١) ياقوت الحموي : معجم الأدياء ، ج ٦ ، ت:س. مرجليوث، ط٢، سنة ١٩٢٣م ، ص ٢٣٧ .

(٢٢) ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٢٣) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٣ ، ج ١ ، ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ؛ ابن عذارى : نفس المصدر ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢٤) ابن بسام : نفسه ، ص ٥٧٨ .

(٢٥) نفسه ، ص ٥٢٠ .

والم يقتصر الأمر على ذلك بل أخذ في مصادرة أموال التجار القرطبيين ليتكرم بها على البربر ويجزل لهم العطاء ويكرم وفادتهم ويقربهم إليه^(٢٦)، ووصل الأمر إلى محاولة "حكم بن سعيد" القضاء على الجماعة ومشيخة وزراء قرطبة وأتباعهم والاستيلاء على البلد مما أثارهم ضده فديروا لقتله والقضاء على دولة المعتد بالله^(٢٧). واجتمع الوزراء ومشيخة أهل قرطبة برئاسة كبيرهم "ابن جهور" وقرروا خلع الخليفة "المعتد بالله" وإلغاء الخلافة الأموية وعودة الجماعة إلى الحكم ونفى المرآنية وتغريبهم عن قرطبة^(٢٨) وأخبر الخليفة "المعتد بالله" بقرار الجماعة، فنزل من العلية مع ولده ونسائه على الأمان^(٢٩)، ثم أعلن "أبو الحزم بن جهور" انتهاء رسم الخلافة لعدم وجود من يستحقها وصيرورة الأمر شورى بأيدي الوزراء وصفوة الجماعة أو مأسماه الجماعة وهكذا تحول الحكم في قرطبة إلى نظام شبيه بحكم الشورى في الإسلام عرف في التاريخ بحكم الجماعة^(٣٠).

الدور السياسي للفقهاء أبو الحزم جهور محمد بن جهور وبنيه في قرطبة.

أجمع العامة بعد تخلصهم من الخليفة "هشام المعتد بالله" سنة ٤٢٢هـ-١٠٣٠م على أن يتولى الحكم الفقيه "أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور" الذي رفض قبول هذا المنصب في البداية، ولكنه أمام إلحاح القرطبيين وافق على أن يشاركه في الحكم كل من "محمد بن عباس" و"عبد العزيز بن حسن" ابني عمه، فوافق أهل قرطبة على مطلبه هذا على ألا يكون لشريكه إلا المشورة فقط، وفي ذلك يقول ابن بسام نقلاً عن ابن حيان إجتمع الملائم من أهل قرطبة على تقليد أمرهم وتأميرهم للشيخ أبي الحزم جهور محمد بن

(٢٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٤٦.
 (٢٧) ابن بسام: النخبة، ق ٣، ج ١، ص ٥٢٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٤٩.
 (٢٨) ابن بسام: نفس المصدر، ص ٥٢٠؛ ابن عذاري: نفس المصدر، ص ١٥٠.
 (٢٩) عبدالواحد المراكشي: المعجب، ص ١١٠.
 (٣٠) ابن الخطيب: أعمال اعلام، القسم الأندلسي، ص ١٩٣ وما بعدها؛ أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٧٤.

جهور وعددوا من خصاله مالم يختلف فيه أحد منهم ، وأبى من ذلك ، فألحوا عليه حتى أسعفهم شارطاً إشتراك الشيخين محمد بن عباس و عبدالعزیز بن حسن إبنی عمه خاصة من بین الجماعة ، فأروا مشورتهم دون تأمیر ، فرضى الناس بذلك وخلعوا من دونهم من الرؤساء ، وجددوا له عقد الرئاسة " (٣١) .

وقد تبنى "أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور" تربية دينية تأثر فيها بالفقهاء فقد روى عن "أبى بكر عباس الهمزنى" و "أبى محمد الأصيلى" ، والقاضى "أبى عبدالله بن مفرج" و "أبو القاسم خلف بن القاسم" و"أبو يحيى زكريا بن الأشج" ، وأخذ العلم عنه الفقيه "أبو عبدالله محمد بن عتاب" (٣٢) .

وقد ظهر جلياً تأثر "ابن جهور" بالفقه أو بالدين عامة فى تحويله للحكم فى قرطبة من حكم إنفرادى وراثى إلى حكم شورى ، وكان قد سبقه فى هذا الأمر القاضى "أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد" فى إشبيلية ، وإن كانت هناك بعض الفروق بين الحاكمين سيتناولها البحث .

وقد أشادت المصادر العربية بسيرة "أبى الحزم جهور بن جهور" وأسهمت فى ذكر محاسنه ، حيث تغير حال قرطبة على يديه وأصبحت تنعم بالأمن والإستقرار، وتحسنت أحوالها المالية وراجت الأسواق ، وإنخفضت الأسعار، وقد أشار ابن الأبار إلى ذلك بقوله : "وجعل ما يرتفع من الأموال السلطانية بأيدى رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم ، وسير فى أهل الأسواق جنداً ، وجعل أركانهم رؤس أموال تكون بأيديهم حصاة عليهم ، يأخذون ربحها فقط ، ورؤس أموال باقية محفوظة ، يؤخذون بها ويراعون

(٣١) ابن بسام : النخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ .

(٣٢) دوزى : ملوك الطوائف و نظرات فى تاريخ الإسلام ، ت. كامل الكيلانى ، القاهرة ١٩٣٣م ، ص ١٣ .

في الوقت بعد الوقت كيف حفظهم له " (٣٣) . وهكذا نجحت سياسة " أبي الحزم " المالية في قرطبة لالتزّمه بتطبيق مبدأ الشورى الإسلامي (٣٤) .

وكان " أبو الحزم " من أغنى رجال قرطبة ، وقد عرف بالحرص الشديد على المال ومع هذا فكان يؤثر المصلحة العامة فحكم قرطبة بكل عدل واتزن ، ومن جهة أخرى فقد تخلص من البربر وأقصاهم عن قرطبة (٣٥) .

والم يفكر " أبو الحزم " في الاستئثار بالحكم دون شريكه كما فعل " أبو القاسم ابن عباد " فكان إذا شك في أمر أو عزم على تدبير شيء أرسل إليهما واستشارهما ، وإذا سئل قال : " ليس لي عطاء ولا منع هو للجماعة وأنا أمينهم " (٣٦) . وكان لا ينظر كتاباً بدونهم ولا يبرم أمراً إلا بعد موافقتهم ولا يتخذ قراراً إلا برضاهم وكان شديد التواضع حتى أنه لم يتخذ ألقاب الخلفاء ولم يلبس زيهم ، ولم ينتقل من بيته إلى قصر الخلافة وظل يؤذن في المسجد ، ويصلى بالناس حتى النوافل ، وكان حافظاً للقرآن ، بالإضافة إلى أنه كان محبوباً لدى العامة لمشاركته لهم في مناسباتهم الإجتماعية ، فكان يزيّر مرضاهم ويشهد جنازتهم (٣٧) ، فعرف بلين الجانب وحسن السياسة وعظيم الأخلاق .

وكان " أبو الحزم " يدرك مدى تأثير العامل الديني على العامة في قرطبة ، ولهذا استغله في تحقيق طموحه السياسي في الاستقلال بقرطبة ، فحين أعلن حكام إشبيلية من بني عباد خلافة " هشام المؤيد " اعترف به ليتخلص من إعترافه بخلافة بني حمود ولكنه بعد مقتل " يحيى بن علي بن حمود " على يد الجيش الإشبيلي بقيادة " إسماعيل بن القاضي أبو القاسم " مال بث أن تنكر من إعترافه بخلافة " هشام المؤيد " ورفض السماح له

(٣٣) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

(٣٤) محمد عبدالوهاب خلافة : قرطبة في القرن الخامس الهجري ، ص ٨٦ .

(٣٥) ابن بسام : النخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ .

(٣٦) نفس المصدر ، ص ٦٠٣ ؛ ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣٧) الحميدي : الجذوة ، ق ١ ، ص ٦١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٨٥ .

وإحاجبه "أبا القاسم بن عباد" بالدخول إلى قرطبة وأُغلق أبوابها دونهم حتى عادوا إلى إشبيلية منكنسى الرئيس (٣٨).

وقد أقنع حكم "أبو الحزم" عامة قرطبة وشيوخها بصلاحيته حتى فضلوه على محاولات الأمويين للعودة إلى الحكم مثلما حدث مع "أمية بن عبدالرحمن الأموي" الذي حاول الوصول إلى الحكم، كما أشار "ابن عذارى" إلى أن شيوخ قرطبة قتلوا أمية قبل أن يدخل قرطبة التي كان يريد الإقامة بها (٣٩).

وعلى أية حال فإن سياسة الفقيه "ابن جهور" كانت سلمية إلى حد كبير، فقد قال عنه ابن عذارى: "ودراً القاسطين (٤٠) من ملوك الفتنة حتى حفظوا حضرته وأوجبوا له حرمة بمكابدة الشدائد حتى ألانها بضروب إحتياله (٤١)، فكان يصلح بين ملوك الطوائف وبخاصة بين بني عباد حكام إشبيلية وبني الأفطس حكام بطليوس وكان يحاول جاهداً نشر السلام، وكان محايداً فلم يذكر أنه دخل في حرب مع أى من ملوك الطوائف حتى قيل عنه أنه كان حرماً يلجأ إليه كل خائف، وظل على سياسته هذه حتى توفى سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م (٤٢).

ويبدو من إختيار العامة في كل من قرطبة وإشبيلية لحكام فقهاء تغلب عليهم الميول الدينية أن العامل الدينى كان يعتبر معياراً أساسياً ترضى به العامة إذا ما أتاحت لهم فرصة إختيار الحاكم السياسي، كما يبدو أن رسوخ هذا المعيار في ذهن هؤلاء العامة كان يرجع إلى جهود الفقهاء في المقام الأول حتى وإن لم يظهر عناصر من الفقهاء على سطح الساحة السياسية.

(٣٨) سبقت الإشارة إلى ذلك عند الحديث عن القاضي أبو القاسم بن عباد.

(٣٩) ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٨٧.

(٤٠) درأى دافع بلين ولطف، أنظر: إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، عبدالحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، سنة ١٩٧٢م، ج ١، ص ١٧٦.

(٤١) ابن الأبار: الحلة السيرة، ج ٢، ص ٣٢، ابن عذارى: البيان المغرب، ج ٣، ص ١٨٦.

(٤٢) ابن سعيد: المغرب، ج ١، ص ٥٦.

أما بالنسبة للدور السياسي لـ "أبي الوليد محمد بن جهور" في قرطبة فقد تولى حكم قرطبة بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م ولقب بالرشيد (٤٣)، وسار على نهج أبيه فلم ينتقل من داره إلى قصر الخلافة ولم يتخذ زى الملوك ولا مظاهر الخلفاء، ونشر السلام بين دول الطوائف، وكان له دور جليل في إصلاح ذات البين بين كل من إشبيلية وبطليوس كما سيتضح.

وقد تربى "أبو الوليد بن جهور" تربية دينية وثب متأثراً بالفقهاء وحفظ القرآن وأحسن تجويده وأنقن حروفه، وكان كثير التلاوة له، ويبدو أنه قد تأثر بوالده في هذا الشأن أيضاً. وتفقه في الدين على يد "أبي المطرف القنازعي" (٤٤) و"يونس بن عبد الله بن مغيث" المعروف بابن الصفار (٤٥)، و"الفقيه" أبو بكر التجيبي (٤٦)، و"أبو محمد مكي بن أبي طالب المقرئ" (٤٧). وقد تمسك "أبو الوليد" بالأذان في المسجد وإمامة الناس في الصلاة أسوة بوالده وتقرباً إلى العامة حيث كان تمسكه بهذا يؤكد تدينه. ومن الواضح أن سياسة أبيه في التقرب إلى العامة من المنظور الديني الذي كان يعد المعيار الأساسي

(٤٣) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٨٥ ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .

(٤٤) سبقت ترجمته .

(٤٥) يونس بن عبد الله بن مغيث كنيته أبو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة وعرف بابن الصفار ، من أعيان أهل العلم سمع من أبي محمد بن معاوية القرشي ومحمد بن يحيى بن زرب ، كان زاهدا يميل إلى التحقيق في التصوف له مصنفات عديدة منها كتاب (المنقطعين إلى الله) وكتاب (المتجهدين) وكتاب (النصب والتقريب) وكتاب (الموعب في تفسير الموطأ) ، ولي القضاء في مواضع كثيرة ، وسمع منه أبو الوليد الباجي ، وتولى قضاء الزهراء والزهرة ، وعاصر بني أمية ، ثم تولى قضاء الجماعة في عهد هشام المعتد ، توفي سنة ٤٢٩هـ . أنظر : الحميدى : الجذوة ، ق ٢ ، ص ٦١٣ ؛ الضبي : بغية الملتمس ، ج ٢ ، ص ٦٨٨ ؛ القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٤٠ ، ٧٤١ ؛ ابن فرحون : الديباج ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .

(٤٦) أبو بكر التجيبي هو أبو بكر محمد بن موهب ، قرطبي مشهور ، وهو جد الفقيه أبو الوليد الباجي ، من العلماء الأفاضل الزهاد ، غلب عليه الكلام والجدل على نصرة أهل السنة ، له رحلة إلى المشرق ، وكان القاضي ابن ذكوان يفضل على باقي فقهاء عصره ، وله تأليف عديدة ، توفي سنة ٤٠٦ هـ . أنظر : القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٦٧٤ .

(٤٧) أبو محمد مكي بن أبي طالب المقرئ له كتب كثيرة في علوم القرآن وغير ذلك من أهمها كتاب (الهداية في التفسير) و (الكشف في وجوه القراءات) و (إختصار الحجة) و (إعراب القرآن) و (الإيضاح في ناسخه ومنسوخه) و (المأثور على مالك في التفسير) و (التفسير والبصرة والموجز) و (إختصار أحكام القرآن) و (الإيجاز واللمع في الإعراب) و كتب أخرى ، وأصله من القيروان ، كان فقيها وأديبا ، رحل إلى المشرق وأقام بمكة ، جلس بالمسجد الجامع بالأندلس ، وتولى منصب الثوري إبان الدولة العامرية ، توفي سنة ٤٣٧هـ . أنظر : القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٣٧ ؛ الديباج المذهب ، ج ١ ، ص ٣٤٢ .

في تقارب الحكام مع العامة قد أجدت في إجماع الكثير من الفقهاء على تولية إبنه " أبى الوليد " خلفاً له وبخاصة وأن الإبن قد تحلى بالصفات التى كانوا يحرصون على وجودها فى الحكام ، كما أن الأمر يؤكد تأثير الفقهاء على الساحة الإجتماعية والسياسية ، وبهذا تولى " أبو الوليد " الحكم بإختيار شيوخ قرطبة له أملاً فى أن يسد الفراغ الذى تركه والده (٤٨) .

ونجحت سياسة " أبو الوليد " الداخلية إلى حد كبير فأقر الأمن والعدل وأقر المراتب على ماكانت عليه فى عهد أبيه ، كما تجنب الحدود ، وأحس الناس فى عهده بالراحة الإطمئنان ، وتميزت سياسته الداخلية بفك العقل السلطانية (٤٩) ، ورد أموال الناس إليهم ، ونظر فى المظالم الديوانية ، ورد الحقوق المالية للغائبين عن قرطبة حتى فاق والده فى هذا المجال ، وفى ذلك قال ابن بسام : "وبرز أبو الوليد فى فك العقل السلطانية وأنفذ الحكم فى المظالم الديوانية ، وعقار الغير عن قرطبة التى أجلتها الفتنة الغماء أشياء عظيمة القدر توقف والده عنها ، فأطلقها وردها إلى أربابها ، وشمل العالم الدعاه" (٥٠)

وقد لعب " أبو الوليد بن جهور " دوراً فعالاً فى القضاء على الفتنة التى حدثت فى عهده بغرض إعادة الحكم الأموى مرة أخرى ، وكان المحرض عليها " أبى المرتضى " الذى كان قد خرج من قرطبة إلى الثغور ، وقد جمع حوله بعض الأعوان وأصبح يحلم بإعادة رسم الخلافة الأموية مرة أخرى إلى قرطبة ، فلما علم " أبو الوليد " بخبره ، أجبره على مغادرة قرطبة فتركها إلى حيث يستقر أبوه ، أملاً فى وجود أعوان يحققون له مطلبه ، وفى ذلك قال ابن بسام نقلاً عن ابن حيان : " وأما عثرة الأشراف الأموية ، فتقلب بها زمان ، وغير أحوالهم الحدثان ، وكان بقرطبة منهم طائفة غامضة الشخوص ، باذة الهيئة ، عارمة الأدب والمرءة ،

(٤٨) ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ .

(٤٩) العقل هى الأحباس أو الديبات ، وعقل أى حبس . أنظر : إبراهيم أنيس وعطية الصوالحي وعبدالحليم منتصر ومحمد خلف الله : المعجم الوسيط ، ص ٦١٦ ؛ المطرزي : المغرب فى ترتيب المغرب ، ت. محمود فاخورى وعبد الحميد مختار ، ج ٢ ، مكتبة أسامة زيد - طيب - ١٩٨٢ م ، ص ٧٥ .

(٥٠) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .

متطبعة بأخلاق العوام الغفل، أكثرهم من ولد الناصر معصومين بيعسيب لهم من أبناء أمرائهم في الفتنة يدعى ابن المرتضى ، أبوه كان صاحب البيعة بالثغريومي إليه بالأصابع" (٥١).

وقد استعان " أبو الوليد بن جهور " بوزير أبيه وصديقه " ابن زيدون " الذي كان محل ثقة أبي الحزم وحظى في عهده بمكانة كبيرة لحسن تديره ونكائه ، ولكن بعض الحاقدين عليه وثبوا به إلى أبي الحزم واتهموه بأنه من أنصار الدولة الأموية ، فسجنه أبو الحزم ، واستنجد " ابن زيدون " في حياة أبي الحزم بصديقه " أبي الوليد " الذي رجا والده في إطلاق سراحه ، ولكن أبا الحزم تمسك بموقفه وأصر على عناده ، فما كان من " ابن زيدون " إلا أن فر من السجن ، وظل " أبو الوليد " يسعى للإصلاح بين والده وصديقه حتى عفا عنه أبو الحزم ، وعاد إلى منصبه في الوزارة حتى وفاة أبي الحزم. وقد تولى " ابن زيدون " الوزارة في عهد " أبو الوليد " إذ عهد إليه بالنظر على أهل الذمة لبعض الأمور العارضة ، ثم رفع مكانه وضاعف أجره ، وعهد إليه بالسفارة بينه وبين الأمراء ، والترسل إليهم ، فلمع في منصبه واشتهر ببراعة رسائله كما اشتهر ببرائع نظمه (٥٢).

ولم تستمر العلاقة بين " أبو الوليد " و " ابن زيدون " على ما كانت عليه فما لبثت أن تعكرت بعد أن سعى الوثاة بينهما ، وبخاصة و أن " ابن زيدون " كان على علاقة بولادة ابنة " المستكفي " الأموي ، وعلى هذا فقد ألقى " ابن زيدون " في السجن قرابة عام ونصف كان يحاول خلالها استعطاف " أبي الوليد " دون جدوى ، وقد ساعده بعض أعوانه

(٥١) نفس المصدر والصفحة

(٥٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ . ومن أقوال ابن زيدون في منح بني جهور :

غيد السوالف في أجيادها تلغ	لولا بنو جهور ما اشرقتم بهم
فالتفاريق منها فيه مجتمع	قوم متى تحتفل في وصف سؤدهم لا يأخذ الوصف إلا بعض مايدع
كالسيف بالغ في إخلاصه الصنع	أبو الوليد قد أستوفى مناقبهم
في أول الطبع لم يعلق بها الطبع	مهذب أخلصته أولسويته
	إن السيوف إذا ما طاب جوهرها

وأنظر أيضا : محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٥ .

على الهرب من السجن ، ففر إلى إشبيلية وأقام في كنف " المعتضد بالله بن عباد " الذي قربه إليه منذ سنة ٤٤١هـ-١٠٤٩م وحتى وفاته (٥٣) .

وكان لـ " أبي الوليد بن جهور " دور جليل في إصلاح ذات البين بين مملكتي إشبيلية وبطليوس إذ كانت الخلافات ناشبة بين " المعتضد بن عباد " صاحب إشبيلية و" المظفر بن الأفتس " صاحب بطليوس والتي كان يرجع سببها إلى أن " عزالدولة أبو عبدالله محمد بن يحيى اليحصبي " صاحب لبلبة كان حليفاً لـ " المنصور بن الأفتس " وولده " المظفر بن الأفتس " ، وقد استجار بالأخير لينقذه من " المعتضد بن العباد " ، ولم يكن " المظفر بن الأفتس " غافلاً عن سياسة " ابن عباد " التوسعية ، فاستجاب له وأرسل إليه جيشاً وأقبل بنفسه إلى لبلبة ناصراً له سنة ٤٣٠هـ-١٠٣٨م، وفي ذلك قال ابن بسام نقلاً عن ابن حيان " وأول ما ظهر من تفساد ابن عباد والمظفر أن ابن يحيى صاحب لبلبة إستجار بالمظفر بن الأفتس فأجاره، وأنزعج له ، ووصل يده وعطل ثغره ، وجمع جيشه وأقبل إلى لبلبة ناصراً لابن يحيى مصغياً لمن خلفه ، يوحد نارفتنة ، كان في غنى عنها حتى ترك بنفسه على ابن يحيى ونافع ابن عباد عنه " (٥٤) . وقد أغضب هذا الأمر " ابن عباد " الذي إعتبره تحدياً له فأرسل جماعات من فرسانه للإغارة على بطليوس في غيبة صاحبها " المظفر " فعانت فيها فساداً ، وكان " ابن عباد " يتوقع أن يهاب " ابن الأفتس " مواجتهته

(٥٣) ابن زيون هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي ، كان والده فقيهاً من أجل الفقهاء ترجم له القاضي عياض ج ٤ ، ص ٧٢٣ ، ولابن زيدون أشعار كثيرة منها عتابه لبني جهور :
بنو جهور أحرقتكم بجفائكم فؤادي فما بال المدائح تعبق
تظنونني كالعبر الورد إنما تطيب لكم أنفاسه حين يحترق
وقد إنتقل إلى إشبيلية فعاش في كنف المعتضد بالله ، ثم قربه إلى المعتضد على الله وأصبح ذا مكانة جليبة في إشبيلية حتى توفي . أنظر : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ج ١ ، ص ٢٠٩ - ٢٣٧ ؛ الحميري : الجذوة ، ق ١ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٣٣٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ١٣٩ - ١٤١ ؛ جوثالث بالثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٨٠ - ٨٦ ، ويلاحظ أن أبا الوليد بن جهور قد أستعان بالمؤرخ الأديب ابن حيان الذي كان شاهد عيان على الأحداث في زمنه ، وقد عمل في ديوان السلطان ، وله مؤلفات عديدة ، وردت ترجمته عند الحميدي : الجذوة ، ج ١ ، ص ١٨٨ ؛ الضبي : بغية الملتس ، ج ١ ، ص ٦٧٩ ؛ مقامة المقتبس : ت . محمود مكي ، نشر أنطونيا ؛ ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٥٧٣ - ٦٠١ .
(٥٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ج ١ ، ص ٣٤ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢١٠ .

وبلده تتعرض لهذه الغارة مما يضطره للعودة إليها ، ولكن " ابن الأفتس " لم يتحرك من موقعه بلبله فزحف إليه " ابن عباد " واشتبك معه فى معركة عنيفة على أبواب لبله تبادلًا فيها النصر والهزيمة حتى دارت الدائرة فى النهاية على " ابن عباد " (٥٥) .

ولما أحس " أبو الوليد بن جهور " بسوء الموقف وخشى عاقبة الأمور أرسل له فى محاولة للإصلاح بينهما حتى قال عنه ابن عذارى أنه كان كفرعون موسى وعظماً وتذكراً ولكن " ابن عباد " أصر على ما فى رأسه ولم يستجب لنصائح " ابن جهور " ، وأرسل جيشاً إلى بطليوس أغار عليها ، وحدثت موقعة بينه وبين " ابن الأفتس " قتل على أثرها عدد كبير من الجيشين الإشبلى والبطليوسى ، وكثر السلب والنهب والهرج كما وصف ابن عذارى (٥٦) .

على أن " ابن يحيى " صاحب لبله قد غير موقفه واتجه إلى " ابن عباد " ، فما كان من المظفر إلا أن أخذ ماله الذى كان قد تركه أمانة عنده أيام حربه مع المعتضد ، وأرسل " ابن الأفتس " جيشه إلى لبله فضربها مما دعا " ابن يحيى " لأن يستنجد بـ " ابن عباد " الذى أرسل جيشاً ليواجه " ابن الأفتس " . وفى هذه الفترة كان " أبو الوليد بن جهور " يوالى إتصالاته بالطرفين ويرسل لهما الرسل للإصلاح بينهما دون جدوى ، ونجح " المعتضد " فى فتح بعض الحصون ولكن جيشه عانى من المجاعة كما ضعف جيش " ابن الأفتس " ولم يصبح قادراً على التصدى لـ " ابن عباد " ولم يبق بيده سوى الشكوى للوك الطوائف فلم يستجب له أحد .

وفى النهاية أحس الفرينقان ، بعد أن أضعفتها الحرب ، بصدق حدس " ابن جهور " ورجاحة رأيه فاستجاب الطرفان للصلح وفى ذلك قال ابن عذارى : " فامتد شأؤ

(٥٥) ابن بسام : نفسه ، ص ٣٥ ، سحر سالم : تاريخ مدينة بطليوس ، ص ٣٩٩ .
(٥٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢١٠ ، خالد الصوفى : تاريخ العرب فى اسبانيا - جمهورية بنى جهور - ، دمشق المطبعة التعاونية ، سنة ١٩٥٩م ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

هذين الأميرين يومئذ في الغي ، وتباريا في القطيعة حتى أفنيا العالمين ، إلى أن سن الله الصلح بينهما في ربيع أول سنة ١٠٥١هـ ٤٤٣م بسعى ابن جهور أمير قرطبة " (٥٧) .

على أن " المعتضد بن عباد " لم يكف عن الحروب فاستدار إلى صغار الأمراء . "ابن يحيى" و" ابن هارون " و" ابن مزين " و" البكرى " فظفر عليهم واستولى على إماراتهم فلادوا بالفرار إلى قرطبة في كنف " ابن جهور " ، كما هاجم " ابن عباد " الجزيرة الخضراء التي كانت تحت حكم " القاسم بن حمود " فسقطت في يده ، ولحق " القاسم بن حمود " بقرطبة ليعيش هو الآخر في كنف " ابن جهور " (٥٨) .

أما بالنسبة لـ " عبد الملك بن محمد بن جهور " فقد تولى حكم قرطبة سنة ٤٥٦هـ ١٠٦٣م ، وقد خالف نهج أبيه وجده فاتخذ مظاهر الخلفاء ، كما اتخذ لقب " ذوالسيادتين المنصور بالله الظافر بفضل الله " (٥٩) . وقد تعرضت قرطبة سنة ٤٦٢هـ ١٠٧٠م لهجمات " المأمون بن يحيى بن ذى النون " الذي تمكن من الإستيلاء عليها فما كان من " عبد الملك بن جهور " إلا أن استعان بحاكم إشبيلية " المعتمد على الله بن عباد " الذي كان يترقب الفرصة للتدخل في شئون قرطبة الإستيلاء عليها (٦٠) ، فأرسل " المعتمد بن عباد " جيشاً إلى قرطبة لإغايتها ، وبالفعل رحل " المأمون بن ذى النون " عن قرطبة ، وانتظر " عبد الملك بن جهور " عودة الجيش الإشبيلي وتأهب لولائه لكن الجيش الإشبيلي أعلن إستيلاءه على قرطبة بعد أن ظهر ضعف " عبد الملك بن جهور " وسوء حالة قرطبة على يديه

(٥٧) ابن عذاري : نفسه ، ص ٢١٣ .

(٥٨) ابن عذاري : نفسه ، ص ٢١٥ .

(٥٩) كان لابي الوليد محمد بن جهور ولدان الأكبر عبد الرحمن والأصغر عبد الملك ، وكان أبو الوليد يؤثر ابنه الأصغر ولكنه لم يكتب له بيعة بولاية العهد من بعده ، وقد أحدث هذا الأمر تنافسا بين الأخوين على السلطة ، فلما اشتد النزاع بينهما مال أبو الوليد إلى قسمة الرياسة بينهما في حياته ، فجعل للأب الأكبر النظر في أمر الجباية والإشراف على أهل الخدمة وعلى النفقات ، أما الأصغر فله النظر في الجند وتولى عرضهم والإشراف على أمورهم وكل ما يخصهم . أنظر : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٢ ، ١ ، ص ٦٠٨ ؛ خالد الصوفي : جمهورية بني جهور ، ص ١٨٧ .

(٦٠) سبق أن حاول المعتضد بن عباد الإستيلاء على قرطبة لكن ابنه إسماعيل لم يقتنع بالفكرة وخالف أمر أبيه ولم ينفذ رغبته ، وظل المعتضد يتحين الفرصة لتحقيق أطماعه حتى وفاته سنة ٤٦٢هـ مما أتاح لقرطبة أن تنعم بالحكم المستقر بعيدا عن بني عباد . أنظر : دوزى : ملوك الطوائف ، ت. كامل كيلاني ، الفصل الخاص ببني عباد .

ونكر أن أهالي قرطبة كانوا وراء الإستغاثة بالجيش الإشبيلي أملاً في أن يتدخل لإنقاذهم من حكم "عبد الملك" فاستجاب لهم (٦١).

على أن سبب استغاثة أهالي قرطبة بالجيش الإشبيلي ترجع ، كما سبق الذكر إلى فساد "عبد الملك بن جهور" الذي استغل أموال قرطبة لحسابه الخاص حتى عانت قرطبة من سوء الأحوال الإقتصادية وبخاصة بعد أن دخلها "المأمون بن ذي النون" (٦٢) وقد أوصى "المعتمد بن عباد" عسكريه بخلع "عبد الملك بن جهور" وإخراجه من قرطبة حيث أعتقل بشلطييش (٦٣) ، أما "أبو الوليد" فقد أوى إلى مقصورة هو ونسائه ، ولكن قوماً من النصارى نهبوا المقصورة وأسروه ، ثم عطف عليه الجيش الإشبيلي فأبقاه في دار صغيرة حتى أمر "المعتمد بن عباد" بإخراجه من قرطبة (٦٤) ، وبهذا تم القضاء على دولة بني جهور وضم قرطبة إلى بني عباد في إشبيلية .

٢. بنو جهور والمواقف السياسية لبعض الفقهاء

أ. القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن هرثمة بن ذكوان

كان من بيت فقه ووزرة ، فوالده "أبو العباس أحمد بن عبدالله بن هرثمة بن ذكوان" من أشهر قضاة الجماعة بقرطبة ، فقد ولاه القضاء "المنصور بن أبي عامر" وكانت له مكانة جليلة عنده فاقت حتى مكانة الوزراء ، فقد أشار النباهي إلى أنه كان له

(٦١) السيد عبدالعزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ١٣٧ . حيث أشار إلى أنه لولا مساعدة أهالي قرطبة للجيش الإشبيلي لما تمكن من الإستيلاء على قرطبة وإنهاء حكم بني جهور

(٦٢) محمد عبدالوهاب خلاص : قرطبة في القرن الخامس الهجري ، ص ٣٢ .

(٦٣) شلطييش Saltes تقع قرب مدينة لبللة على البحر المتوسط ، وهي جزيرة لاسور لها ولا حظيرة وبنياتها نصف رمية حجر ، وطول الجزيرة ميل أو يزيد ، وتقع في جهة الجنوب ، ولها أرياض واسعة ومراع خصبة ، كما أنها مرفأ للسفن ودار لصناعة الحديد ، يسكنها جماعة من النصارى . أنظر : الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٣ .

(٦٤) ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ٥٦٠ . يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ت. محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨م ، ص ٥٢ .

بيت خاص في القصر (٦٥) . كما أنه تولى وظائف أخرى بجانب القضاء منها خطة الرد (٦٦) ، وخطة المشاورة في الأحكام (٦٧) ، وخطة الصلاة أيضاً (٦٨) . وظل على ذلك في عهد " المظفر بن أبي عامر " حتى حدث خلاف بينه وبين الوزير ، فدبر له الوزير مكيدة أفست ماكان بينه وبين المظفر فعزته عن القضاء لفترة ، ثم عاد إليه مرة أخرى بعد أن إزادت مكانته رفعة إلى أن مات " عبدالمك المظفر " وتولى بعده " عبدالرحمن شنجول " الذي ولاه الوزارة إلى جانب القضاء ، كما تولى قضاء القضاء وأصبح أول من لقب بقاضي القضاء، وظل هكذا حتى نهاية الدولة العامرية فخلع عنه " المهدي " هذا اللقب واكتفى بلقب قاضي الجماعة (٦٩) .

على أنه إبان الفتنة القرطبية بدت ميول "ابن ذكوان" في المصالحة مع البربر فاتهم بالميل إليهم مما دعا الخليفة أن يطرده من قرطبة بإيعاز من وزيره " واضح " فرحل وأهله إلى المرية ، وتأثر العامة برحيله ، ولما قتل الوزير عاد إلى قرطبة ولكنه لم يقبل خطة القضاء حتى توفي سنة ٤١٣هـ ١٠٢١م (٧٠) .

(٦٥) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٨٨ .؛ وقد ذكر الزركلي : أن مكانة هذا الفقيه قد فاقت مكانة الوزراء فكان يلزم المنصور في رحلاته وغزواته ، أنظر : الأعلام ، ج ١ ، ص ١٥٦
(٦٦) خطة الرد من الخطط القضائية التي تميز بها القضاء في الأندلس إذ أنها لم تظهر في المشرق الإسلامي ، وهي تخول لمسئوليتها سلطة إنفاذ الأفضية ، وكان متولياً يسمى صاحب الرد لأنه كان يحكم فيما إستترابه الحكام والقضاء وردوه عن أنفسهم ، وقد كان لصاحب الرد منزلة عالية ومكانة عظيمة لدى ولاة الأمر فكانوا يستنون إليه حق محاسبة القادة والعمال والخروج إلى الكور للتحقيق في شكايات الرغبة مع العمال . أنظر : النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥ .

(٦٧) خطة المشاورة في الأحكام يندب إليها لاسيما في الأمور المشتبهة حتى يتنبه القاضي بمذاكرة العلماء ومناظرتهم على نحو مايجوز أن يخفى عليه من الأدلة ويستوضح بهم طريق الإجتهد ويتواصل إلى غوامض المعاني ، و المشاورون هم جماعة من كبار الفقهاء يختارهم قاضي الجماعة أو ولي الأمر للمعونة في توضيح الأحكام . أنظر : القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٣ ، ص ٤٢٥ .

(٦٨) خطة الصلاة من الخطط الوثيقة الصلة بالقضاء ، فهي إمامة الصلاة العامة لاسيما في الجامع الكبير بقرطبة أو مدينة الزهراء وذلك في أيام الجمع والأعياد ، وهي من الخطط التي تفرّد بها الأندلس والمغرب ، وإذا أضيفت لوظيفة القاضي علا شأنه وسمت منزلته . أنظر : النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٦ .

(٦٩) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٦٦٢ . ولقب قاضي القضاء أستخدم في المشرق ولكن يبدو أن استخدامه في الأندلس كان يعني أنه أعلى من قضاء الجماعة ، ويبدو أن أبا العباس كان من الفقهاء الذين أفتوا لدى هشام بولاية العهد لعبد الرحمن بن أبي عامر . أنظر : ابن الأبار : الحلة السيرة ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٧٠) الحميدى : الجذوة ، ق ١ ، ص ٢٠٤ .؛ الضبي : بغية الملتنس ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ؛ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٥ . ويعد هذا الفقيه من أبرز فقهاء القرن الرابع مشاركة في الحياة السياسية .

وقد ذكر ابن بشكوال أن القاضي "ابن ذكوان" قد تولى القضاء بإجماع أهل قرطبة^(٧١)، ويبدو أن حكم الشورى الذى ساد قرطبة فى هذه الفترة قد شمل القضاء أيضاً حيث أصبح من حق العامة إختيار الفقيه الذى يفضلونه لمنصب القضاء وبخاصة إذا كان من بيت علم وفضل .

وقد روى القاضي "أبو بكر بن ذكوان" عن كل من الفقيه "أبى المطرف القنازى" و "يونس بن عبدالله"، وكان الفقيه "ابن ذكوان" من أهل الحفظ والنباهة والذكاء الذين عنوا بالعلم واقتناء الكتب^(٧٢).

أما عن مواقف هذا الفقيه السياسية فقد كان له موقف ضد الحاكم "أبا الحزم بن جهور" الأمر الذى أدى إلى عزله من القضاء، وكان هذا الموقف يتلخص فى رغبة "أبى الحزم بن جهور" فى الحصول على مال الأوقاف لينفقه على المصالح فرفض القاضي "ابن ذكوان" قبول طلبه فعزله^(٧٣)، ولعل فى ذلك ما يشير إلى عدم إخضاع بعض الفقهاء الأمور الشرعية لرغبات الحكام السياسيين . وقد مات هذا الفقيه فى نفس العام الذى مات فيه "أبو الحزم بن جهور" إثر تولية صديقه "أبولوليد بن جهور" الحكم وكان عمره أربعين عاماً^(٧٤)، وبشكل عام كان "ابن ذكوان" من أكثر فقهاء المالكية مشاركة فى الحياة السياسية إبان هذه الفترة^(٧٥).

(٧١) يرجع القاضي ابن ذكوان إلى أصل بربرى فهو من موالى بنى أمية الذين سكنوا فحص البلوط ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٥ حيث ذكر أن العامة قد هتفوا باسم ابن ذكوان ليتولى القضاء فى عهد أبى الحزم بن جهور وألحوا عليه حتى قبل المنصب ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(٧٢) ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(٧٣) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٧٨٥ .

(٧٤) كان للقاضي أبو بكر بن ذكوان أخ يدعى محمد وكنيته أبو حاتم ، تولى قضاء الجماعة فى قرطبة ثم تولى أحكام المظالم ، وكان كأخيه فى حسن أخلاقه ، توفى سنة ٤١٤ هـ . أنظر : ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٤٧٧ . وتجدر الإشارة أن ابن زيدون قد رثى ابن ذكوان فى شعره

(٧٥) أنظر : ابن خاقان : قلاند المعيان ، ج ١ و ج ٢ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ ؛ ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٧٠ .

ب. الفقيه يحيى بن محمد بن يبقى بن زرب

تولى هذا الفقيه القضاء بعد "ابن ذكوان" وكانت كنيته "أبو بكر"، سمع من القاضى "يونس بن عبد الله" وغيره من الفقهاء^(٧٦)، وقد قلده "أبو الوليد بن جهور" القضاء وأحكام الصلاة والخطبة، ويبدو أن "أبا الوليد بن جهور" كان حريصاً على اختيار القضاة بنفسه فكان يتخير أبناء الفقهاء المعروفين أصحاب البيوتات المشهورة أو العريقة فى العلم والفقهاء، ولكن من الملاحظ أن مسألة إختيار العامة للقضاة كانت من مميزات عصر "ابن جهور" وكانت دليلاً على أن بنى جهور كانوا يقدرين الفقهاء لدرجة أنهم كانوا يصلون على الفقهاء بعد موتهم ويسيرون فى جنازتهم مثلما حدث مع "يحيى بن محمد بن يبقى بن زرب" عند وفاته سنة ٤٤٧هـ ١٠٥٥م^(٧٧)

ج. الفقيه حسن بن محمد بن ذكوان

ولاه "أبو الوليد بن جهور" القضاء تقديراً منه لبيت ذكوان وعراقتة واعترفاً بمكانة والده "أبو بكر" ولكن يبدو أنه لم يكن على نفس قدر أبيه وجده، رماه "أبو الوليد بن جهور" إلى أحكام الشرطة والسوق رغم ضآلة علمه، وقد أشار ابن بشكوال إلى أن أشياء ظهرت منه دفعت "ابن جهور" إلى صرفه عن القضاء وبقى معطلاً دون عمل فى داره لا يخرج منها إلا للذهاب إلى المسجد حتى توفى سنة ٤٥١هـ ١٠٥٩م^(٧٨).

د. الفقيه محمد بن عتاب بن محسن (أبو عبد الله)

من أهل قرطبة وكان يعد شيخ المفتين بها، سمع من كثيرين مثل "أبو عمر الطلمنكى" و"أبو محمد مكى" والقاضى "يوسف بن عبد الله"، وروى عن "القنازعى" و"ابن وافر" و"ابن الحداد" والقاضى "عبد الرحمن بن بشر"، وكان "أبو عبد الله" فقيهاً عالماً عاملاً ورعاً عاقلاً بصيراً بالحديث وطرائقه، عالماً بالوثائق وعللها وإم يأخذ عليها أجراً

(٧٦) ابن بشكوال : الصلة ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ .

(٧٧) ابن بشكوال : نفس المصدر والصفحة . وقد ولد هذا الفقيه سنة ٣٨٢ هـ .

(٧٨) ابن بشكوال : نفسه ، ج ١ رقم ٣١٢ ، ص ١٣٦ . وقد عرف هذا الفقيه بأبى على .

قال عنه " أبو الأصبغ عيسى بن سهل " أنه كان إماماً جليلاً متصرفاً في كل باب من أبواب العلم ، وكان متواضعاً يشتري كل حوائجه بنفسه، واحتل مكانة جلييلة حتى أن " أبو الوليد بن جهور " كان ينزل إلى مسجده في بعض الأحيان ، ويستشير؛ في أهم الأمور ويأخذ رأيه في المسجد ، وربما كان " ابن جهور " يجمع له بقية فقهاء الثوري فيقضى قضاءه وينفذ أحكامه في المسجد . وقد دعى للقضاء أكثر من مرة فامتنع ولم يقدر عليه بشئ ، كما دعى لتولى الثوري في شبابه وقدمه لذلك " أبو المطرف بن بشر " فأبى لأنه كان يهاب الفتوى ويخاف عاقبتها . وطلبه أهل طليطلة وأهل المرية للقضاء لكنه رفض وقد رغبه " أبو الوليد بن جهور " بنفسه ولطفه قدر جهده فلم يقدر عليه . وقد ذكر أنه عندما مات وجد في بيته صندوق مغلق أوصى بالأل يفتح إلا بعد موته ، وحينما فتح بعد موته فإذا به يحتوى على أربعة رسائل من أربعة حكام هم " ابن عباد " و " ابن الأفتس " و " ابن صمادح " و " ابن هود " دعاه كل منهم للقضاء ببلده ورد عليهم : " تركت هذا لله " وقد توفي سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م وعمره ثمانون عاماً^(٧٩) .

هـ. الفقيه أبو الحسن إبراهيم محمد بن يحيى (ابن السقاء)

كان من بين الفقهاء الذين استعان بهم "أبو الوليد بن جهور" وكان ذا شخصية متميزة لها تأثير سياسي كبير، لقد تغيرت حالته من الفقر إلى الغنى حيث كان يعمل في بادئ الأمر ناظراً للأعباس، وأتاحت له وظيفته هذه الانخراط في مجتمع الفقهاء والقضاة ثم تولى النظر بالمسجد الجامع^(٨٠) . ومن المسجد الجامع بدأ نجمه يسطع وبخاصة أنه كان يتحلى بالذكاء والفظنه وبعد النظر ، فتقرب لـ " أبو الوليد الباجي " حيث حاز على

(٧٩) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ج ٤ ، ص ٨١٠ - ٨١٣ ؛ ابن بشكوال : الصلة ، ج ١ ، ص ٥١٥ ، ٥١٦
ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ١٦٥ وقد ذكر أن محمد بن عتاب عاش أيام دخول المعتد بن عباد قرطبة وتوفي بعد ذلك .

(٨٠) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

ثقتة فقربه إليه ، وتدرج في ذلك حتى أصبح مدبر دولة بني جهور ورجلها الأول^(٨١) . وقد وصف ابن حيان أحواله في بداية ظهوره فقال : " وقد كنت كتبت من وصف ظاهر محاسنه أول إعتلاقه بقهرمة أميرنا محمد بن جهور ، وعددت من حسان خصاله ما لم يبعد عن الصدق عنه ، لأخذنا بظاهر ماتموه في العيون وقت بنائه لنفسه وتنفيقه لكساده ، من طأة الخلق ، وحس الإحتمال وبين الحجاب وخطة المواطأة وجودة الواسطة " ^(٨٢) . وهكذا احتال " ابن السقا " حتى وصل إلى غرضه ، فأصبح من المهابين في قرطبة ونال شهرة واسعة وذلك لتمرسه في الشؤون المالية والإدارية ، ولقوة شخصيته التي مكنته من التفوق على " أبي الوليد بن جهور " مكانة وسلطة ، حتى أن ابن حيان أرجع إليه الفضل في استمرار دولة بني جهور وذلك لنجاحه في المحافظة على استقرار الأمن بقرطبة منذ عهد " أبو الحزم بن جهور " ف ضرب بشدة على أيدي المفسدين وسار على سياسة " أبو الحزم " الخارجية من حيث التزم الحياد مع دويلات الطوائف ^(٨٣) .

والحقيقة أن " ابن حيان " قد ناقض نفسه في الحديث عن " ابن السقا " فتره يمدحه في بادئ الأمر ثم يعود ليزمه مرة أخرى ، وقد انتقده في ذلك " ابن بسام " ^(٨٤) .
و" ابن حيان " العذر في رأيه في هذا الفقيه حيث كانت شخصيته متلونة أخفت حقيقتها وتظاهرت بصفات أخرى ليست فيها حتى وصل إلى هدفه فظهرت طبيعته فسرعان ماتغيرت أخلاقه وتحول إلى التكبر والغطرسة والاستخفاف بالمظالم وتولى أمر

(٨١) أطلق على ابن السقا عدة ألقاب وهي مدبر قرطبة ، ومدبر الملك الجمهوري ، وقيم دولة بني جهور ، والأمين ووزير دولة بني جهور ، أنظر ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ٢ ، ص ٧٦٧ . ابن عذارى : النيان ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ . ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، ص ١٥٩ . رضوان البارودي : ابن السقا القرطبي مدبر دولة بني جهور بقرطبة ، ص ٤ ، ٥ .

(٨٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٨٣) خاك الصوفي : جمهورية بني جهور ، ص ٧٦ . رضوان البارودي : ابن السقا القرطبي ، ص ٦ ، ٧ .

(٨٤) ابن حيان : المقتبس ت. محمود مكي ، ص ٤٩ . ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

ديوان الخراج وسيطر عليه وعلى ما به واتخذ له جنداً خاصاً من أراذل العامة وبلغ به العصيان إلى حد أنه اتخذ له داراً بها الغلمان سميت دار اللذة^(٨٥).

وبلغت قوة قبضته على البلاد درجة دعت "المعتضد عمر بن عباد" لأن يحقد عليه حيث أن ذلك مكنه من حماية قرطبة التي كان يتطلع إليها "المعتضد" طمعاً، ولم يجد "ابن عباد" من وسيلة للإستيلاء عليها سوى بالتخلص من "ابن السقاء"، فأوعز إلى "عبد الملك بن محمد بن جهور" - الذي أوكل إليه أبيه قسطاً من الحكم - بالتخلص منه لسوء سيرته وحجبه لبني جهور، واستبداده بالأمر دونهم، فتربص له "عبد الملك" وجماعة من جنده في قصر أبيه - أبي الوليد - حيث كان يعلم ببيعةا مجيئه وقتله ومن معه ثم حزر رأسه وطافوا بها على طرف رمح وتركوها للعامة ليعبثوا بها معبرين عن فرحتهم بالتخلص من ذلك الطاغية وكان ذلك سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م^(٨٦).

وقد علا شأن "عبد الملك" بعد قتله لـ "ابن السقاء" الذي كانت تمقته العامة في قرطبة لتجبره عليهم، وقد ذكر ابن بسام نقلاً عن ابن حيان أن "أبا الوليد بن جهور" قد حزن على وزيره، حينما علم بمقتله ونهر ابنه على فعله^(٨٧).

أما ابن عذارى فقد رأى أن "أبا الوليد بن جهور" كان على علم بتدبير ابنه لقتل "ابن السقاء"، كما أنه لم يحزن على وفاته بل دخل الناس يهتئون على التخلص منه حيث كان يريد الخروج عليهم والقيام بهم، أي أنه كان يدبر للقيام بثورة ضدهم، وعلى هذا فقد وافق ابنه على التخلص من هذا الفقيه^(٨٨). ونميل إلى الأخذ برأى ابن عذارى في أن "أبا الوليد بن جهور" كان على علم بتدبير ابنه لقتل وزيره وأنه وافقه على ذلك لحجبه للأمر دونهم واستئثاره بالسلطة وتدبيره للقيام بثورة عليهم للتخلص منهم والاندفاع بحكم قرطبة

(٨٥) ابن بسام : النخيرة ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

(٨٦) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٥١ .

(٨٧) ابن بسام : النخيرة ، ق ٤ ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٨٨) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٢٥١ ؛ إبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ، ص ٣٦٠ .

وهي نفس الأسباب التي ذكرها ابن عذارى ، وإذا لم يكن "أبو الوليد بن جهور" على علم بهذه الحادثة ما تجرأ ابنه على إغضابه وتحديه بقتل وزيره وفي قصره، وكان إقدام "أبو الوليد" وابنه على قتل "ابن السقاء" ما أحسوه، من مقت العامة وكرههم الشديد له لتجبره عليهم وسوء معاملتهم وإنحرافه عن السلوك القويم الذي ألفوه، في الفقهاء فكان الإقدام على قتله سعياً من بنى جهور على إرضاء العامة وحفاظاً على وجودهم السياسي .

أما عن موقف الفقهاء من "ابن السقاء" فقد اختلفوا في مسألة تنفيذ وصاياه فحكم "ابن سهل" بأنه لا تنفذ وصايا "ابن السقاء" قيم دولة بنى جهور إلا فيما علم ملك له لأنه ثبت أنه كان من أهل الإستطالة في الأموال والإستبداد بها وأنه كان مقلداً (٨٩) وقد توفى ثرياً ، ولذلك أفتوا بأن جميع ماتركه يعود لبيت مال المسلمين إلا ما علم صحة ملكه (٩٠) . وتبين للقضاة أن جميع ماتركه "ابن السقاء" منهب من أموال المسلمين فيما عدا الدار التي يسكنها الجد "يحيى" بحاضرة قرطبة والحانوت الذي بيد شقيقه "سالم" وماعدا ذلك يعود إلى بيت مال المسلمين (٩١) .

كما اعتبر الفقهاء أن أحكام "ابن السقاء" الفقهية غير جائزة لأنه كان من أهل الجور والاعتداء ، مثال ذلك ما حدث عندما تقدمت امرأة مملوكة لـ "ابن السقاء" تدعى الحرية وشهد لها شاهدان من سبته وكتب لها "ابن السقاء" سجل بذلك ، فلما هلك "ابن السقاء" لم يعترف القاضي بالسجل وقال أن أحكام "ابن السقاء" غير جائزة عندي، كما ذكر الفقيه "ابن القطان" أن أحكام "ابن السقاء" مردودة لايجوز إمضاؤها ويجب ردها ونقضها لأنه كان من أهل الجور والاعتداء (٩٢) .

(٨٩) مقلا : قصد بها فقيراً .

(٩٠) الوثنريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى الأندلس والمغرب ، ت. محمد حجى ، ج ٧ ، ص ١٧٧ .

(٩١) ابن سهل : مخطوط الأحكام الكبرى (الإعلام بنوازل الأحكام) ، ص ١٩١ .

(٩٢) الوثنريسي: المعيار المعرب، ج ٩، ص ٢٢١؛ محمد عبد الوهاب خلاف: تاريخ القضاء في الأندلس، ص ١٢٨ .

وإذا كان "ابن السقاء" يعدّ وجهاً سيئاً للفقهاء إلا أنه لم يكن يمثل ظاهرة بينهما حيث أنه تحول إلى مغامر سياسي بعيداً عن الالتزام بمنهج الفقهاء، ولعل ابتهاج العامة وكذا شيوخ قرطبة بمقتله يؤكد ذلك، كما أن منهجه السياسي الذي بعد به عن رضا العامة وتسلطه عليهم بواسطة أعماله من سفلة الرعية هو الذي أودى بحياته في آخر الأمر كما سبق التوضيح.

و. الفقيه أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبلي

يرجع أصل هذا الفقيه إلى بيت الطنبلي الطارئ على قرطبة الذين استقروا بها في عهد الدولة الأموية، وكان والده أول من بنى لهم بيت شرف في الأندلس، وكان نديماً لـ "محمد بن أبي عامر" حيث أشتهر عنده بأشعاره^(٩٣).

أما ابنه "أبو مروان الطنبلي" فكان صاحب فقه وحديث ورعاية واهتمام باللغة العربية وبراعة في الشعر والأدب^(٩٤)، ولكنه كان مع ذلك بخيلاً شديد التقدير على نفسه وعلى أسرته، رغم إشارة ابن حيان إلى أنه كان يتقاضى راتباً كبيراً من السلطان "أبي الوليد بن جهور" عوناً على صيانته، ولا يعرف سبب هذه المساعدة من قبل "أبي الوليد" هل تعود لأنه كان شاعراً أم لكونه فقيهاً ومحدثاً. وقد أسهب ابن حيان في وصف بخل هذا الفقيه وتظاهره بالفقر مما أفرغ نساءه منه وحنقهن عليه، كما أنه أستوحشهن واعتزلهن فكن يقمن في قعر الدار بينما ينفرد هو بنفسه في الطابق العلوي في الدار ولم يقرب إليه سوى ولده الأصغر الذي كان ضعيف العقل والأعضاء ولا أم له وظل هكذا حتى أصبح بمكانه مقتولاً في ربيع الآخر سنة ١٠٦٤هـ/١٠٧٩م، وتظاهر نساءه وابنه الأكبر بالحزن والنواح عليه حتى علم "أبو الوليد بن جهور" بالأمر وأوقع التهمة بالأين

(٩٣) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ج ١، ص ٥٣٦.
 (٩٤) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ج ١، ص ٥٣٩؛ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ج ٢، ص ١٠٩. وقد ذكرت المصادر أن هذا الفقيه قد رحل إلى المشرق وسمع من فقهاء مصر والحجاز، وهو من شيوخ أبي علي الغساني وكتب إلى أبي المطرف القزازي ويونس بن عبد الله بن الصفار.

الأكبر الذي عرف بدمائة الخلق ، وأوكل " أبو الوليد بن جهور " الأمر لصاحب المدينة "محمد بن هشام " المعروف بالحفيد للنظر في هذه المسألة ، فنهض صاحب المدينة إلى دار القتل فألفاه مذبوحاً بأكثر من ستين ضربة سكين ووجد ثيابه مخبأة في إحدى أركان الدار والسكين ملقى في غرفة ، ولم يجد أثراً لدخول أو خروج من الدار فحصر ارتكاب الجريمة في أهل هذه الدار ، كما وجدت آثار دم على سراويل بعض نسائه ، وباستجوابهن قالت إحداهن " هذه قتلته وأعناها نحن " .

أما الأبن الأصغر فقال أن أباه قتلته للصوص ثم عاود فقال أن امرأة القتل وابتيتها قتلته بمعاونة الأبن الأكبر " زيادة الله " (٩٥) الذي قال عنه ابن حيان : " زيادة الشر " ، فاضطر صاحب المدينة إلى هتك حجاب القتل في نسائه وضرب أم ولده الفاجر " زيادة الشر " فاعترفت بتفاصيل الحادث ودفن القتل بعد يوم من موته (٩٦) ، وكانت جنازته مشهودة من قبل العامة في قرطبة الذين أحبوه وحننوا على موته وأخلصوا الدعاء له كدأبهم في إحترام الفقهاء وتبجيلهم ، وأفتى الفقهاء بإطالة سجن المتهمين مع الضرب المبرح ، وكان رأى الفقيه " ابن القطان " الوقوف على آفة الإبن الأصغر هل هي في عقله أم في جسده ومعرفة سبب تغير أقواله .

أما الفقيه " ابن عتاب " فكان يرى أنه لا قتل على من كان معه في الدار من نسائه وأبنائه إلا أن كل واحد منهم عليه القسامة لأنه لم يقتله أو يشارك في قتله ثم يطال سجنهم ، واعتبر قول المرأة عن الأخرى هذه قتلته أعناها نحن قولاً محتملاً أن تكون تعنى معاونة بقول أو فعل كانت عاملاً في قتله ، وأنها لم تقل ذلك إلا بدافع الفرع بعد أن استجوبتها الشرطة ، ورأى الفقيه " ابن سهل " ما كان يتوافق مع رأى أستاذه " ابن

(٩٥) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٥٣٩ ؛ الوثائقي : المعيار المعرب ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٩٦) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ج ١ ، ص ٥٣٩ .

عتاب " ، وقال " ابن القطان " و " ابن مالك " أنه على ابنه الضعيف القيام بالدم لتعارض أقواله (٩٧) .

وقد جمع " أبو الوليد بن جهور " الفقهاء والحكماء وجمع من العامة في مسجد " ابن عتاب " المعروف بمسجد غانم وأرسل إلى " ابن القصار " وغيره من المشاورين فأنفوا من إثارة ابن عتاب " عليهم لجمعهم في مسجده وتغيّبوا عن الحضور فقال " أبو الوليد بن جهور " : " هم وما إختاروا " ، ونزل في المسجد مع من حضر وأمر بإحضار أبناء المقتول وبنى عمه ونسائه ونزّت الشورى ، وأمر " ابن جهور " بالعمل بفتوى الفقيه " ابن عتاب " ونفذ القضاء به (٩٨) .

وعلى الرغم من كون هذه الحادثة في ظاهرها حادثة قتل عادية وتتصل بطرف شخصية إلا أنها قد نالت إهتماماً خاصاً من الحاكم السياسي " أبو الوليد بن جهور " وجموع الفقهاء والكتاب أيضاً الأمر الذي يؤكد ما كان يتمتع به الفقهاء من مكانة في الحياة السياسية والاجتماعية فضلاً عن أن تفاصيل الحادث تشير إلى مدى إهتمام الفقهاء بتحري الدقة إلى أبعد حد في القضايا الاجتماعية ، فضلاً عن مكانة المسجد في الحياة السياسية والاجتماعية ومدى تأثيره وتأثره بالحاكم السياسي إلى جانب كونه مصدراً للتأييد والمعارضة كذلك ، فالمسجد الذي تواءم مع منهج الحاكم السياسي قد أختير لتنفيذ الأحكام فيه ولهذا دلالة في تدخل الحكام السياسيين لاختيار ما يروقهم من فتاوى الفقهاء.

وقد أضاف " ابن حيان " أن ابن القتيل " زيادة الله " قد ظل في سجنه أعوام طويلة ثم خرج منه خاسئاً بين الناس ، وبدأت تظهر تركة الفقيه " أبي مروان الطنبلي " التي كانت غاية في الثراء فمقت الناس عليه لكثرة ما كان يدعيه من القل ، وعلق ابن

(٩٧) الوثنريسي : المعيار المعرب ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٩٨) الوثنريسي : نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

حيان على ذلك بقوله: "ومن أدى حق الله في ماله فليس بشحيح فيما قتر من إنفاقه على أن المرء راع مسئول عن من يقوته من أهله" (٩٩).

وهكذا فإن العامة رغم حبهم لهذا الفقيه وتحاملهم على من قتلوه إلا أن أي آفة فيها إنقاص للقيم الدينية فإنها تصعر من شأن صاحبها في نظر العامة وبخاصة إذا كانت في علماء الدين الذين يتعلم الناس على أيديهم هذه القيم.

(٩٩) ابن بسام: الذخيرة، ق ١، ج ١، ص ٥٤.